وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله تعالى ورسوله
عليه السلام من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد
قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت انفسها وقلوبها حتى
عمي عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل
ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها
ولم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع
والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم
واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال
على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحاة معه
طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن
النبي عليه السلام انه قال ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم
يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال أبهذا بعثتم
ام بهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه
فانتهوا فقد حذرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى بالجدل والحجاج ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال
وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج
منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه دقائق كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا
وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
اكثر مما كان على الصحابة رضي الله عنهم مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم
فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على انفسنا الخطأ في
تفاصيله ثم ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي
بمخاصمة نفسي ومجادلتها لترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه فكيف ادعوا الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى
وما يحبه لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق
ونظايره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين

بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله عز وجل الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء
اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تكلموا في علم المحبة
الا وهم محبون وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على عيوب النفس
الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله تعالى لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله
تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله عز وجل فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن
من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله تعالى
وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب
ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص ويصف الريا ويذكره وهو يرائي
بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على
الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر
الله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم
الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشد حرصا
لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه
اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين
اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله تعالى اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن الرجوع الى السداد لان
المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب
دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بم يعالج وكيف سبيل تخويف نفسه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله تعالى
فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة امكن ان يدل على طريق الامتحان
والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه
بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طاب له الخلوة ومتى
استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا
خلى بالله فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم بهذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله تعالى غليظ والمغرورون يحسنون بانفسهم
الظن واذا كشف الغطا عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به
الخبر لانهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون
في قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك
على وصف المنازل العالية من هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما النفع

Copyright © King Saud University